قوي يقينه ببيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ثم بين ان صفقتهم رابحة وقال فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الآخرة خير وابقى وقد يعلم ذلك من
لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد
الشيطان واما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوما فيوما الى ان يختطفه الموت ولا يبقى معه
الا الحسرة بعد الفوت والى تعريف خساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى تعريف
نفاسة الآخرة الاشارة بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن فنبه على ان
العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاوضة ورغبة عن محبوب في احب منه
قال رجل اللهم ارني الدنيا كما تراها فقال صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل ارني الدنيا كما اريتها الصالحين
من عبادك وهذا لان الله عز وجل يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلاله حقير والعبد
يراها حقيرة في حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بائع الفرس وان رغب عنه فرسه
كما يرى حشرات الارض لانه مستغن عن الحشرات اصلا وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل
ما سواه فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة الى جلاله ويراها متفاوتة بالاضافة الى غيره والزاهد
هو الذي يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره واما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك
واخذ لانه بيع ومعاملة واستبدال للذي هو خير بالذي هو ادنى فكما ان العمل الصادر عن عقد البيع هو ترك
المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب في الدنيا تركا للمزهود فيه بالكلية وهي الدنيا
باسرها مع اسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من اليد
والعين ما اخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم
المبيع ولم ياخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به

فان

١١٧

فان الذي بايعه بهذا البيع وفى بالعهد فمن اسلم حاضرا في غائب وسلم الحاضر واخذ يسعى في طلب الغائب سلم اليه الغائب حين
فراغه من سعيه ان كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد وما دام ممسكا للدنيا لا يصح زهده اصلا
ولذلك لم يصف الله عز وجل اخوة يوسف بالزهد في بنيامين وان كانوا قد قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونا
عزموا على ابعاده كما عزموا على ابعاد يوسف حتى تشفع فيه احدهم ولا وصفهم بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه
الا عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج فان اخرجت عن اليد بعض الدنيا دون
البعض فانت زاهد فيما اخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور
منك الزهد لان ما لا تقدر عليه لا تقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك انك وان تاك
فانت زاهد فيه فلا ينبغي ان تتدلى بحبل غروره دون ان تستظهر بموثق غليظ من الله فانك اذا لم تجرب
حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تيسرت
له اسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فاياك ان تثق
بوعدها في المباحات والموثق الغليظ ان تجربها مرة بعد اخرى في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على
الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا فلا باس ان تثق وثوقا ما ولكن تكون من تغيرها ايضا
على حذر فانها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع وبالجملة فلا امان منها الا عند الترك
بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن ابي ليلى لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن الحائك
لا يفتينا في مسألة الا رد علينا يعني ابا حنيفة رضي الله عنه قال ابن شبرمة لا ادري اهو ابن الحائك ام لا
ما هو لكن اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها وكذلك قال جميع المسلمين انا نحب
ربنا ولو علمنا في اي شيء محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا
من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت منهم اي من القليل قال
وما عرفنا ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وليس من الزهد

الاخرة واعلم انه ليس من الزهد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)